حسن حنفي الفيلسوف

إسماعيل زروخي(*)

مقدمـــة

لا أريـــد فـــي هذا المقال التعرض إلى حياة حسن حنفي الشخصية بقدر ما نتعـــرض إلى ما يهمنا فيها فقط، في ما نود الكتابة فيه، وهو بيان وبناء أفكاره الفلسفية المتميزة، لأن الحديث عنه في هذه العجالة لا يفيه حقه -وقد تكون لنا وقفـــات أخـــرى نتناوله فيه بإسهاب- فقد اهتم حنفي بقضايا المجتمع العربي الإســـلامي وحمل همومه، وحاول بناء هويته، ويعد قطبًا من أقطابه المتميزين الذين يرجع لهم الفضل في الحفاظ على كينونته واستمراره.

إن آراء حسن حنفي كانت نابعة من زخم تاريخي فلسفي أصلت وأسست له الإنسانية جمعاء، وكانت أفكاره متشبعة بروح مجتمعه وأصالته، ولكن لا يعني ذلـــك أن رؤيته تلك كانت منفصلة عن روح عصرها، عصر عالمية المعرفة الكونية والثقافة والفكر والفلسفة، وعالمية أسسها ومناهجها وموضوعاتها.

لقد طاف حنفي في آفاق الدنيا الواسعة واطلع على السمات المشتركة للبشر وأحـــوالهم، وساعدته في ذلك قدراته المتمثلة في اتقانه لمجموعة من لغات تلك الشعوب والأمم، إذ يتقن "العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية" ومن تلك الرحلات حاول ترتيب وتصنيف واقع الإنسان العربي المسلم في كينونة الوجود

(*). رئيس قسم الفلسفة، جامعة قسنطينة، الجزائر.

التاريخية، حيث ارتحل إلى فرنسا من بلده مصر قاصدها طالبًا للعلم والمعرفة، وفيها تحصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة سنة ١٩٦٦م، كما سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كأستاذ زائر، وفيها درس بجامعة تمبل، فيلادلفيا، كما درس أيضًا في جامعات متعددة، فاس بالمغرب، وطوكيو باليابان، وحط رحاله بأندونسيا، وإيران وكثير من الدول الأخرى، عربية إسلامية وغيرهما..

وقد درس في تلك الجامعات العلوم المختلفة من علوم الدين وأصوله، والفلسفة بجميع تخصصاتها الجزئية "اجتماعية، سياسية، تاريخية، تراثية، دينية، أخلاقية، ومنطقية" وغير ذلك من مواد التدريس التي كانت تشكل المقرر الدراسي لتلك الجامعات.

كما وقف حنفي على المناهج المتبعة فيها لتحصيل العلوم والمعارف، وقيم تلك المناهج وعرف التي منها كانت قادرة على مسايرة العصر، وقادرة على مواكبته، ومن ثم تبناها واتخذها منهجًا للقضايا التي كان يسعى لبحثها ومعالجتها، لأنها تحمل في ثناياها ودلالاتها ما كان يشغل هاجسه كفيلسوف، لا يرتبط نظره بمكان محدد في الزمان والمكان.

وبناء على تلك الرحلات التي قام بها "حسن حنفي" والدراسات والأبحاث التي أنجزها، أصبح أحد رواد الفكر الفلسفي المعاصر في الوطن العربي والإسلامي خاصة، والعالمي عامة، سواء من حيث غزارة إنتاجه، أو نوعية المعلومات والأفكار التي قدمها كخطابات وممارسات محاولًا من خلالها استيعاب أزمة مجتمعه.

وقد عاصر "حنفي" الكثير من أقطاب الفكر العرب المعاصر، من أمثال عثمان أمين، ومصطفى عبد الرازق، وسامي النشار، وعبدالهادي أبوريدة، وزكي الأرسوزي، وخالد محمد خالد، ومحمد عابد الجابري، ومحمد أركون، وبرهان غليون، وناصيف نصار، ومالك بن نبي، وزكي نجيب محمود، وعبدالرحمن بدوي، وتوفيق الطويل، ومحمود قاسم، وغيرهم... لكنه لم يذب في فكر أولئك الأقطاب الذين عاصرهم، وإنما أسس لنفسه كينونة خاصة، بارزة وشامخة تعبر عن وجوده المتميز بين أولئك الأقطاب، وكانت له مع بعضهم مشاركات ومساهمات ومناظرات.

كما يعد حسن حنفي من أبرز فلاسفة العالم العربي الإسلامي المعاصرين المهتمين بعلاقة العرب والمسلمين بغيرهم، من غربيين وأسيويين، حيث كان يحضر في كثير من الندوات التي تقام هنا وهناك من أجل إبراز صورة العرب المسلمين التي تزعزعت كثيرًا -ولاسيما- في نظر الغرب، يدافع عن مواقفهم وهمومهم التي فرضتها ظروف عديدة، لم تكن متأصلة فيهم، يؤمن بالاختلاف والتنوع في سياق الحوار الذي يعترف بالآخر ولا يقضيه، يرفض التبعية والهيمنة، ولم يكن بأي حال من الأحوال متوددا إلى الآخر متوسلًا إليه، كما يعتقد البعض، الذين يعتبرون أن ذلك أدى به إلى الاستنكاف عن استعمال نصوص ومصطلحات القرآن ويستبدلها بألفاظ يقبلها الآخر[1].

---

(1). الفيلالي، مصطفي: تقريري تجميعي "الصحوة الدينية الإسلامية: خصائصها- أطوارها- مستقبلها" في الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، طبـ٢، ١٩٨٩م، بيروت، لبنان، صـ٣٥١.

كـــان حسن حنفي من أبرز الفلاسفة العرب المعاصرين، المنظمين لملتقى ســـنوى يحضره في كل مرة العديد من العرب المشتغلين بالفلسفة وبقضاياها، ويتمـــثل ذلـــك في ملتقى الجمعية الفلسفية المصرية، وفيه تجد ذلك الفيلسوف المتواضـــع، المواظب على حضور الجلسات جميعها مهما استمرت من وقت، مـــوجهًا حينًا، ومبديًا أفكاره حينًا أخر، مهتمًا بكل مسألة فلسفية تطرح يستمع إلـــى طارحها، يناقشه مناقشة الشغوف بالاطلاع على ما سيقدمه، كما تجده في ذلك الملتقى مبرزًا خصال الأخلاقية المتمثلة في حسن الاستقبال والضيافة يهتم بكـــل مـــا يـــتعلق بشؤون ضيوفه من إقامة ونقل، وغيرهما. ولعل تسمية بيته الخـــاص باســـم "بـــيت العرب" لأكبر دليل على ما يكنه هذا الفيلسوف لوطنه العربي، وما يضحى في سبيله، إنه بحق يحمل صفة الفيلسوف الحامل لهاجس مجتمعه في كيانه لا يفارقه لحظة من حياته، حتى في مكان إقامته.

إن كـــل هذه السنوات التى قضاها الفيلسوف حسن حنفي من حياته، والعمل المـــشتغل بـــه تـــشعر وأنت تلتقي به أن الرجل صافي الذهن، والسريرة، وأن الـــسنين الطـــويلة كلها لم تؤد به إلى ملل من أي نوع سواء عقلى فكري، أو اجتماعي إنساني.

فلسفتـــه

كـــان حسن حنفي، من أبرز الفلاسفة العرب المسلمين الذين سعوا جاهدين إلى تأسيس فلسفة عربية إسلامية متميزة، وإن كانت لا تخلو من تأثير الفلسفات الإنـــسانية الأخـــرى، رغـــم محاولاته تجاوز حدود بعض المذاهب في الفلسفة الأوربية الحديثة والمعاصرة دون مجابهات ومناظرات. لقد عاصر حسن حنفي

تطور العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي اهتمت بقضايا الأمم والشعوب، ونظر إلى قضايا مجتمعه وعصره نظرة وضعية واقعية حاول من خلالها تأصيل مفاهيم خاصة به، ثم إعادة بنائها لتتوافق مع متطلبات مجتمعه وعصره، لذلك تجد نفسك وأنت تقرأ فلسفته أنها جاءت متشبعة بروح عصرها من جهة، ومتوافقة في سياقها مع كثير من الفلسفات فقد تأثر بالظواهرية التي رسم معالمها "هوسرل"، ومنهجها، كما تأثر بالفلسفة الوضعية التي أسهم في تأسيسها المفكر الفرنسي "أوجست كونت"، والفلسفة العقلانية التي بنى أسسها كل من باروخ سبينوزا ورينيه ديكارت، وغيرها من الفلسفات الاجتماعية التي تهتم بطبائع الإنسان وشؤونه.

كما تأثر حسن حنفي، بالفلسفات التي تهتم بالدراسات الدينية عمومًا والاشتراقية خصوصًا وإن كان هذا التأثر لا يبدو في رأينا واضحًا، فإن عبد الرازق قسوم يعتبر أن تأثره في بعض الأحيانن لا غبار عليه، وهو ما أكده حين قال: "فكتاب "التراث والتجديد" نجده لا يختلف في توجهه النقدي العام، عن كتاب -باروخ سبينوزا- مع اختلاف المصادر والغايات. فحين نقرأ كتاب التراث التجديد، نكشف دون عناء هذا المعول العقلي الذي يحمله المؤلف ليهدم به كل شيء قديم على أنه تراث"[1]، ولكن هذا الاختلاف الذي يشير إليه، الأستاذ قسوم هو الذي يعبر عن كينونة حجسن حنفي الخاصة.

---

(1). قسوم، عبدالرازق: "مدارس الفكر الإسلامي المعاصر"، تأملات في المنطلق والمصب، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٧م، صـ١٠٨.

كما ساهم الواقع العربي الإسلامي المتميز بخصوصيته في تنظيرات، حسن حنفي، وقد كان لذلك أثره الواضح في نمط تفكيره، وإبداعاته الفلسفية، لأننا نرى أن أية محاولة فكرية أو فلسفية لا تنبع من مسائل تجريدية مطلقة، وإنما هي، وإن كانت تجريدًا، فإنها تنبع من واقع تعبر عنه، وتتأسس عليه، وبهذا المعنى يتأكد على أن واقعه هو أصل تفكيره، وما الفلسفة التى يدعو إليها إلا الفلسفة التي ارتبطت بذلك الواقع، لأن أية فلسفة حقيقة ما هي إلا مجرد مشروع لا يفتأ في تأسيس ذاته انطلاقًا من صيرورة تاريخه الذاتي، المرتبط بالصيرورة التاريخية للآخر، وفي الأخير تكون هذه الفلسفة، كالثورة، وأكبر مظهر لهذا التوجه الفكري، لحسن حنفي، هو الذي نلمسه في كتابه من العقيدة إلى الثورة، ولاسيما في الجزء الأول منه، حين قال: "فالعقيدة هى التراث، والثورة هى التجديد، العقيدة هي إيمان الناس وروحهم، والثورة هى مطلب عصره"(١).

وكانت الخصوصيات التاريخية لتفكير الآخر -كما أشرنا سلفًا- واضحة في تفكير "حسن حنفي"، حيث كان قريبًا من الفلسفة الظواهرية، في منهجها وفي مباديء تفكيرها وخصوصًا موقفها من المعرفة العلمية والنظرية، وهذا ما كان يتبناه سبيلًا للفلسفة وللمعرفة. فقد كان يبدو في مؤلفاته من الرافضين للفكر التجريدي المحض الذي لا يعبر عن معطيات واقع معين، بل كان الواقع الحاضر هو مصدر إلهامه وغبداعه، ومن ثم كانت فلسفته قريبة من الفلسفة

(1). حنفي، حسن: "من العقيدة إلى الثورة"، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م، جـ١، صـ ٣٨.

الاجتماعية/السياسية التي نظر بها إلى واقعه ومحيطه العربي الإسلامي، ولم تكن تلك الفلسفة إلا العملية العلمية، ولعل ذلك هو الذي أدى ببعض دارسيه إلى تصنيفه في مصاف مؤسسي التيار اليساري في الإسلام.

لقد أعطى "حسن حنفي" أهمية بالغة للفلسفة، لما لها من دور فعال في تغيير حياة الإنسان وفي تحقيق كينونته الإنسانية، وترتبط بمعطيات حياة الإنسان وبقضاياه، حيث قال في هذا الشأن أن على جيلنا أن: "يبدع فلسفة إسلامية جديدة طبقًا لظروف عصرنا بعقلية المجتهد فيصبح الفيلسوف في نفس الوقت أمينًا على الحكمة وراعيًا لمصالح الأمة"(1). ومن ثم كانت فلسفته فلسفة حقيقية، لأن الفلسفة الحقة في رأينا هى التي تعبر عن الإنسان وتسعى إلى تغييره، أو كما يقول هيجل، هي التى تفكر في الذات المفكرة ذاتها، أو هي الحقيقة في تجريدها وإطلاقها هى فكر الفكرة إذ تفكر في نفسها. ومن هذا المنطلق تصبح الفلسفة ذات مقصد إنساني تمارس فاعليتها بالإنسان ومن أجله، وهذه الوظيفة هي التي يسعى "حسن حنفي" إلى تأسيس فلسفته على أسسها ومبادئها. إن الفلسفة التي برزت في كتابات "حسن حنفي" وفي همومه هى التي ارتبطت في علاقة جدلية بينها وبين الإنسان كوعي منتج لذاته، ومن هذا المنظور فهي التتبع المستمر لحياة الإنسان التي تبعثها على التغير والتطور، وهذا هو الهدف الذي ما فتيء حسن حنفي، يسعى إليه في تغيير محيط الإنسان العربي المسلم، فالمؤلف وإن كان قد تأثر بالفلسفات التي ذكرناها سابقًا فإن مرجعيته الأولى في

(1). حنفي، حسن: "هموم الفكر والوطن" دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧، جـ١، صـ ١٠٥.

نظـــرنا التـــي استند إليها في معالجة قضاياه هى مرجعية عربية إسلامية، فهو غـــاص فـــي أعمـــاق ماضـــي مجتمعه الذي لم يدفن فيه ذاته بل جعله ركيزة لحاضـــره في تصور مستقبله، ومن ثم كان بحق فيلسوفًا، حاملًا لهاجس الفلسفة التـــي تتجاوز معطيات الماضي والحاضر لبناء المستقبل وهو ما عبر عنه في مقدمـــة كتابه حوار الأجيال حين قال: "هذا الكتاب وفي مني للأجيال الماضية واعتـــزاز بالأجيال القادمة... الغاية مته التأكيد على التواصل بين الأجيال فلا يـــوجد نـــبت من لا شيء، كل جيل سابق يمهد لجيل لاحق"[1]، فصناعة تاريخ الأمم وحضارتها لا يتم إلا بتجاوز الأجيال بعضها لبعض.

إن الأستاذ حسن حنفي، انطلاقًا من الفلسفة التي تقمصها ودافع عنها وسعى إلـــى بنائها وتطويرها، هي التي تجعل من الواقع، ومن الفكر في حركة دءوبة ومـــستمرة، لا تقف عند حد معين، لأن الحد الذي يمكن أن تصل إليه لا يمثل الكمال، لأن الكمال هو البحث المستمر الذي يضمن البقاء للفلسفة، ويجعل منها مثلاً أعلى، يطمح الإنسان لبلوغه، سواء كواقع أو مثال، لأن الواقع المتعارف علـــيه هـــو الذي نعيشه ونعانيه، والمثال هو الذي نأمله ونعمل من أجل بلوغه كواقع أو ممارسة وفي هذا السياق يقول: "حسن حنفي" نفسه يجب على الإنسان ألا يركن لأية نظرية فلسفية بل ينبغي أن يتحرر من قيودها تحررًا يجعله دائمًا

(1).حنفـــي، حـــسن: "حـــوار الأجيال" دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٨م، مقدمة الكتاب.

علـــى استعدادًا للانطلاق نحو عالم أفضل[1]، لأن الارتباط بنظرية معينة معناه الخـــضوع إلـــى قيد الركود والجمود الذي يتناقض مع مبدأ الفلسفة والتفلسف. فالفلسفة بهذا المعنى هى وحدها القادرة على تفجير الطاقات وخلق العزائم، ولا يعني أن هذه الفلسفة القريبة من حياة الناس ومن عواطفهم ووجداناتهم هى نوعًا من تملق عواطف الجماهير[2].

فهـــدف "حسن حنفي" من فلسفته هو الوصول إلى أنساق فكرية فلسفية تعبر عما هو واقع ولا يتناقض مع معطياته، ورغم أن فلسفته في عمومها اجتماعية، سياســـية، تاريخية، دينية، تراثية، إلا أنها في اعتقادنا لا تتعارض مع المعايير الإبستمية المنتجة للمعرفة المرتبطة بذلك الواقع فالمؤلمف، قد تعقل ما يحيط به مـــن ظواهر ورصد لها حلولا، واتخذ منها مواقف، وهى تدل على قدرته في غدراك مادة موضوعه المعرفية، ومن ثم فهو بحق من المشاركين والمساهمين في خصوصية الفلسفة العربية الإسلامية، وهذه هى صفة الفيلسوف الحق التي تقتضي كما يقو ناصيف نصار الاستقلال والإبداع[3].

مؤلفاتـــه

(1).حنفـــي، حـــسن: "من الوعي الفردي إلى الوعي الاجتماعي"، في دراسات فلسفية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر ١٩٧٩، صـــ٣٣٤.

(2). قـــسوم، عبدالرازق: "مدارس الفكر الإسلامي المعاصر"، تأملات في المنطق والمصب، صـــ١١١.

(3). نصار، ناصيف: "طريق الاستقلال الفلسفي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، طـــ٢، ١٩٧٩ ، صـــ٢٥.

لا يمكننا في هذه العجالة استعراض الكم الهائل من الكتب التي اصدرها، حسن حنفي سواء كانت تأليفًا أو ترجمة أو تحقيقًا أو كانت في شكل مقالات كتبها في مجلات متعددة ومتنوعة وهو الأمر الذي أدى بالمفكر الجزائري عبد الرازق قسوم إلى وصفه بقوله: "لقد استطاع د.حسن حنفي أن يثبت وجوده على الساحة بما قدم ويقدم للمكتبة العربية من أعمال. وما ينشره من أحاديث؟، ودراسات تنحو كلها نحو هذا الاتجاه فهذه العوامل كلها مجتمعة، هى التي جعلت منه فاعلاً على الساحة الفكرية الإسلامية، يثير بما يكتب شتى أنواع ردود الفعل، مما جعل الناس لا يزالون في أمره مختلفين"(١).

وأننا لا نرى في تلك المؤلفات أوراقًا أو وثائق مكدسة فوق بعضها البعض، بقدر ما نرى ونلمس فيها أو ما بين جنباتها فيلسوفًا يفعل وينفعل، تعقل ما يحيط به وبمجتمعه من ظواهر وقضايا رصد لها حلولا، مستندًا على ما وصلت إله أساليب البحث ومناهج الدراسة ومستحدثاتها المعاصرة، التي أستها الفلسفة لنفسها، والتي امتثل لها حسن حنفي، فيما احتوت عليها مؤلفاته.

إن الملاحظات العامة التي نجدها في فلسفة حسن حنفي، من خلال مؤلفاته، أنه كان وفيًا لمبدئه الفلسفي، الذي استند فيه إلى التراث المرتبط بالماضي، الماضي الذي يرتبط بالحاضر، ولكن ليس من أجل تحويل الحاضر إلى ماضي، وإنما الربط بينهما من أجل خلق استمرارية تظهر فيها روح الإنسان الذي بنى ذلك الماضى، ومن ثم يظهر لنا المؤلف الدور الذي قدمه الإنسان

---

(1).قسوم، عبدالرازق: "مدارس الفكر الإسلامي المعاصر"، تأملات في المنطلق والمصب، صـ١٠١:١٠٠.

العربي المسلم في التاريخ، والذي يمكن إثارته من جديد لأداء وظيفته التي أداها في السابق معتمدًا على آليات وقواعد المنهج العلمي المعاصرة.

ويمكن ملاحظة هذا التوجه من حسن حنفي في أغلب كتبه، وخصوصًا: التراث والتجديد، الذي يعتبر بحق من أهم الدراسات الجادة[1]، في هذا الموضوع، وفيهذا المؤلف يطرح الباحث كثيرًا من القضايا الأساسية في تراثنا العربي الإسلامي، التي لم نلم بها إلى الآن إلمامًا كاملاً وتامًا وشاملًا، نظرًا لخصوبتها وتنوعها، لأن تراثنا فيه من الخصوبة، ما يجعل كل من ينهش فيه، وينقب عن محتوياته، يعثر على كنز أو كنوز بحسب طاقة وقدرة الباحث وعمقه، ولعل هذا ما أراد "حسن حنفي" إبرازه والكشف عن محتواه، وتجاوز المتداول والمعروف المألوف في هذا التراث، فالباحث لم يكن مؤرخًا محترفًا، قاصرًا همه وجهده على الجمع والسرد والتسجيل، بل كان مهتمًا بالبحث عن المعرفة والحكمة والحقيقة في حد ذاتها، ولذلك ففي اعتقادنا، أن ما قام به حسن حنفي، يرتقي إلى قضايا وهموم المجتمع الذي عاصره، واستطاع ربطه بماضيه وتراثه، لأن الواقع أو الحاضر الذي نعيشه ما هو إلا جزء من ذلك القديم أو التراث الذي تجسدت فيه أرواح أسلافنا، ومن ثم فمنطقيًا القديم يسبق

(1). الجنحاني، الحبيب: "التعريب والأصالة الثقافية والمعاصرة، في "التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ١٩٨٢، صـ ٣٨٠.

كل جديد، وكل معاصرة لابد لها من أصالة؟، وكل غاية لابد لها من وسيلة، وعمومًا فهو يسعى إلى المعاصرة إستنادًا إلى الأصالة[1].

وقد ربط حسن حنفي في مؤلفه "التراث والتجديد"، بين الواقع والتشريع والتجديد حيث رأى، أن التجديد ما هو إلا تطوير للواقع، وإذا طورنا الواقع فإنه حتمًا سيقود إلى تطوير التشريع، ومن ثم يصبح التعبد في الشريعة هو السعي الحثيث لتحقيق مقاصدها العليا[2].

كما تناول مسألة الوعي ودوره في التاريخ والحضارة في كتابه: "الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي"، وفيه قال أن:"الوعي التاريخي بالأنا هو أساس الوعي الحضاري فالتاريخ هو مسار الحضارة في الزمان. التاريخ هو تفاعل الحضارة مع الزمان. الحضارة بنية التاريخ... ودون هذا التفاعل بين الوعي الحضاري والتاريخي يستحيل العمل الوطني وتغمض الرؤية"[3].

وقد كتب "حسن حنفي" مؤلفاته ودونها بلغات مختلفة، عربية، إنجليزية، فرنسية، وسنتعرض في هذه العجالة إلى بعض تلك المؤلفات، ولم نعتمد سلمًا تفاضليًا لتناولها، ومن تلك المؤلفات التي كتبها باللغة العربية: التراث والتجديد ١٩٨٠، من العقيدة إلى الثورة خمسة أجزاء ١٩٨٨م، الدين والثورة في مصر

(1). البرقاوي، أحمد: "العرب وعودة الفلسفة"، دار طلاس للدراسات والترجمة النشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠، صـ٨١.

(2). نقلًا عن مصطفى الفيلالي: تقرير تجميعي "الصحوة الدينية الإسلامية: خصائصها- أطوارها- مستقبلها"، مرجع سابق صـ٣٥٨.

(3). حنفي، حسن: "الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٨، صـ٣٣.

ثمانـية أجـزاء ١٩٨٩م، دراسات إسلامية ١٩٨٢، دراسات فلسفية ١٩٨٧م، مقدمـة فـي علم الاستغراب ١٩٩١م، هموم الفكر والوطن، جزءان ١٩٩٧، حـوار الأجـيال ١٩٩٨، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي ١٩٩٨، وقـضايا معاصـرة جـزءان، جـ١ ١٩٧٦، وجـ١٩٧٧، وحوار المشرق والمغـرب ١٩٩٠ بالاشتراك مع محمد عابد الجابري، وجمال الدين الأفغاني ١٩٩٧م.

أمـا الانجليزية فقد ألف: الحوار الديني والثورة سنة ١٩٧٧م، والإسلام في العـصر الحـديث جزءان ١٩٩٥. أما بالفرنسية فقد ألف: مناهج التأويل سنة ١٩٩٥، وتأويل الظاهريات سنة ١٩٦٦، وظاهريات التأويل سنة ١٩٦٦.

كمـا حقق وقدم وعلق "حسن حنفي" المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البـصري جـزءان ١٩٦٤، الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ١٩٧٩، جهاد الـنفس أو الجهـاد الأكبـر للإمام الخميني ١٩٨٠. وترجم نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ١٩٦٨، ورسالة في اللاهوت والسياسة لاسبنوزا ١٩٧٣. وتـربية الجـنس البـشري للسنج ١٩٧٧، تعالى الأنا موجود لسارتر ١٩٧٧.

وبـناء على هذا الاستعراض لمؤلفات "حسن حنفي" لا نعتقد أن ما قدمه من كم هائل من المؤلفات، أنها كاملة لا نواقص فيها، بل إننا نرى أنها لم تصل بعد إلـى مـرحلة الكمال رغم أن كل مؤلف من مؤلفاته يحتاج إلى عناية وقراءة خاصة حتى يمكن من خلالها تقييمه، لأن القضايا المطروحة في مؤلف تختلف عن القضايا المطروحة في غيره من التآليف، ولا يتسع المقام هنا إلى التعرض

لجمـــيع القضايا التي طرحها في مؤلفاته لأن لكل منها كينونتها المستقلة، وكل مـــنها يحـــتاج إلى قراءة عامة وشاملة تتأمل جميع عناصرها ومحتوياتها، ولا سيما باعتبارها تتعلق بتاريخنا الطويل في كل مظاهره، سواء من حيث محاولة إثبات كينونته، أو من حيث تأسيسه وتأصيله.

أسلوبه ومنهجه

جـــاء أســـلوب "حـــسن حنفي" في معظم كتاباته فلسفي راقي العبارة، دقيق المعاني في ألفاظه ومصطلحاته، وهو أسلوب لا يشوبه تردد أو اضطراب، ولا غمـــوض، أو تعقيد، وهو الأسلوب الذي نلحظه في كثير من الكتابات الفلسفية العـــربية المعاصـــرة، في المشرق والمغرب على حد سواء كان مسيطرًا على اللغـــة التـــي يكـــتب بها، قادرًا على تطويعها لما يريد أن يعبر عنه في أفكاره وآرائه لا تكلف ولا لصطناع في أسلوبه ولغته، وهو أسلوب علمي رصين.

كمـــا تـــبدو فـــي أسلوبه ملامح ومظاهر الوظيفة التي شغلها وهى وظيفة الـــتدريس، إذ أنـــه يكتب لقارئين ولا يكتب لنفسه، يوصل لهم ما أراد أن يعبر عنه من معارف وأفكار، بمناهج سلسة واضحة لا تتجاوز القضايا المطروحة، ولا تغترب عنها، فالنتائج التي يتوصل إليها تبقى دائمًا متسقة مع تلك القضايا، ولـــذلك تجـــد أفكاره قريبة من كيان ووجدان الإنسان الذي يعقبر عن قضاياه وهمـــومه، وهـــو بـــذلك يخـــتلف عـــن كثير من المفكرين العرب المسلمين المعاصـــرين، الـــذين يعبـــرون عن قضاياهم بأدوات ومناهج وأساليب معقدة وغامضة، وفي غالب الأحيان لا تعبر عن هموم مواطنيهم، لذلك بقيت فلسفاتهم وأفكارهم بعيدة عن وجدان شعوبهم.

إن تنوع الموضوعات التي تناولها حسن حنفي، لم تغير أسلوبه بل جاء متناسقًا فيها جميعًا فكلما انتقلت في قراءتك من موضوع لآخر، أو من كتاب لآخر، تجد حسن حنفي الفيلسوف حاضرًا بتميز أسلوبه الذي شكل له مبدأ ثابت في كل المواضيع، وهذه من سمة الفلاسفة الأوفياء لمبادئهم، فالقارىء يلاحظ في كل موضوع يطرقه المؤلف أنه يدعو إلى تكوين روح جديدة في كيان الإنسان العربي المسلم للنهوض من سباته، والعودة إلى ماضيه ليجعل منه سندًا في تجاوز حاضره المشؤوم، فهو بمثابة المغناطيس الذي يشده دائمًا للركود والجمود والكسل.

والطابع العام للمنهج الذي سلكه "حسن حنفي" واعتمده في دراساته وأبحاثه في القضايا والمسائل التي تناولها أنه ليس المنهج الجمعي التراكمي أو الوصفي الاستقصائي، بل هو المنهج النقدي، الذي يقف من خلاله من القضايا التى يتعرض لها موقفًا نقديًا مبرزًا نواقصها وسلبياتها أكثر مما يبرز إيجابياتها، ولعل ذلك يعود في اعتقادنا إلى محاولة التأسيس التي يسعى المؤلف إلى بنائها وصياغتها في إطار حقول معرفية تتماشى وأطر الثقافة العربية خاصة والإنسانية عامة، ولعل ذلك وصياغتها في إطار حقول معرفية تتماشى وأطر الثقافة العربية خاصة والإنسانية عامة، ولعل ذلك ما عبر عنه عبدالله العروي في وصفه لحسن حنفي حين قال أنه: "أكثر تعرفًا على الانتاج الغربي وأكثر ممارسة لمناهج البحث المعاصر مع اتصاله الوثيق بالتراث الاسلامي"[1].

(1). العروي، عبدالله: "مفهوم الحرية"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط٦، ١٩٩٨، صـ٨٢.

وأخيرًا فإن ما يمكن الخروج به من هذا العمل المتواضع،؟ حول الفيلسوف، هـــو أن مـــا قام به يعتبر عملاً ضخمًا أسهم به في إثبات كينونة العقل العربي ووجـــوده. وأن مـــا لاحظـــناه في أغلب مؤلفاته من صرامة ونقد يتميز بهما أسلوبه، لا يعنيان في اعتقادنا أن الرجل كان متشائمًا، بل على العكس من ذلك أنـــه كـــان يحـــاول خلق التفاؤل لدى كل إنسان عربي لكي يشق طريقه نحو المستقبل.